

Reasoning with the Names and Attributes of Allah on the Invalidity of Polytheism

[10.35781/1637-000-138-003](https://doi.org/10.35781/1637-000-138-003)

د. أريج بنت سليمان بن عبدالله الباهلي*

*الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الملك سعود

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها. وتوضيح علاقة الشرك بالجهل بالأسماء والصفات. وتم ذكر نماذج قرآنية دالة على ترسيخ توحيد الأسماء والصفات للعقيدة وبطلان الشرك.

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، وتكونت من ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها، المبحث الثاني: علاقة الشرك بالجهل بأسماء الله وصفاته، المبحث الثالث: نماذج من القرآن على الاستدلال بأسماء الله وصفاته على ترسيخ العقيدة وبطلان الشرك، الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وتوصلت الدراسة لعدة نتائج، أبرزها:

- العلاقة الواضحة بين أنواع التوحيد الثلاثة، وأن من أقر بتوحيد الأسماء والصفات دون غيره من أنواع التوحيد لم ينفعه ذلك حتى يؤمن ببقية أنواع التوحيد من الربوبية والألوهية.
- أن نفي الشرك عن الله تعالى في أسمائه وصفاته لا يتم إلا بنفي الشرك في بقية أنواع التوحيد.
- أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافراً إذا كان مقراً بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، أسماء الله وصفاته، بطلان الشرك.

Reasoning with the Names and Attributes of Allah on the Invalidity of Polytheism

Dr. Arij bint Sulaiman bin Abdullah Al-Bahili*

*Assistant Professor in the Department of Islamic Studies
College of Education - King Saud University

Abstract

This study aimed to clarify the concept of monotheism, its types, and the relationships between them, as well as to explain the connection between polytheism and ignorance of the Names and Attributes of Allah. The study also presented Qur'anic examples that indicate the reinforcement of the monotheism of Names and Attributes in creed and the invalidity of polytheism. The study relied on the inductive-deductive approach and consisted of three sections and a conclusion: the first section: The concept of monotheism, its types, and the relationship between them. The second section: The relationship of polytheism with ignorance of the names and attributes of Allah. The third section: Examples from the Qur'an demonstrating the evidence of Allah's names and attributes in reinforcing faith and invalidating polytheism. Examples from the Qur'an of reasoning with the Names and Attributes of Allah to establish (or solidify) Creed and refute Polytheism (Shirk), Conclusion: Which includes the most important findings and

recommendations.". The study reached several results, the most prominent of which are:

- The clear relationship between the three types of monotheism, and that whoever affirms the monotheism of Allah's names and attributes alone without the other types of monotheism will not benefit unless they also believe in the other types of monotheism, namely, Rububiyyah (Lordship) and Uluhiyyah (Divinity).
- That negating partners for Allah in His names and attributes cannot be achieved except by negating polytheism in the other types of monotheism.
- Ignorance of some of the names and attributes of God does not make one a disbeliever if they acknowledge what the Messenger - peace be upon him - has brought.

Keywords: Reasoning , Names and Attributes of Allah , Invalidity of Polytheism (Shirk).

المقدمة:

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:

فإن شرف العلم مرتبط بشرف المعلوم، والعلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأثرها في بطلان الشرك من أشرف العلوم وأجلها.

وتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى هو أعظم ما بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، حيث جاءت بالبشارة بالجنة لمن حقق التوحيد، وعبد الله وحده لا شريك له، والندارة بالنار لمن أشرك معه غيره.

ومن أعظم أبواب التوحيد التي تُثَبِّت عقيدة المسلم، وتدفع عنه أبواب الشرك، معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنی وصفاته العلی الدالة على كماله، وانفراده بالعبودية الحق له وحده لا شريك له.

فلا يستحق العبادة أحد سواه سبحانه، ولا يجوز أن يصرف منها شيء لغيره، وهذا ما دلَّ عليه القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وأثبتها سبحانه إثباتاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأثبتها له الرسول ﷺ في سنته المطهرة.

فجاءت النصوص مثبتة لكمال الله ﷻ، ونقص العبد وافتقاره لخالقه ﷻ.

ولأجل ذلك وقع الاختيار على هذه الفكرة لأهمية الاستدلال بأسماء الله تعالى وصفاته على بطلان الشرك.

أهمية البحث تظهر فيما يلي:

1. توحيد أسماء الله وصفاته ودوره في ترسيخ العقيدة وبطلان الشرك.
2. ارتباط الموضوع بأصل الدين، وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته ﷻ وبطلان الشرك.
3. لم أجد -حسب اطلاعي- من تناول هذا الموضوع في دراسة مستقلة.

مشكلة البحث:

تسعى الدراسة للكشف عن التساؤلات الآتية:

1. ما مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها؟
2. ما علاقة الشرك بالجهل بأسماء الله وصفاته؟
3. ما النماذج القرآنية الدالة على ترسيخ توحيد الأسماء والصفات للعقيدة وبطلان الشرك؟

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها.
2. توضيح علاقة الشرك بالجهل بالأسماء والصفات.
3. ذكر نماذج قرآنية على ترسيخ توحيد الأسماء والصفات للعقيدة وبطلان الشرك.

الدراسات السابقة:

لم أجد خلال بحثي في المكتبات وقوائم الرسائل العلمية دراسة مستقلة لهذا الموضوع، وما وجدته ذا صلة بالموضوع يمكن إجماله كالآتي:

1. تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات. إعداد الباحثة: فوز كردي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية للبنات - ماجستير، 2020م.
- وهي دراسة تناولت تحقيق العبودية لله عزوجل بمعرفة أسمائه وصفاته.

أما هذه الدراسة فتناولت الاستدلال بأسماء الله وصفاته على بطلان الشرك.

2. الآثار الاعتقادية للإيمان بالأسماء والصفات على الإيمان بالقدر. إعداد الباحث: إبراهيم بن حبيب الله مرزا عالم، جامعة الملك عبد العزيز، ماجستير، 2020م.
- وهي دراسة تناولت دراسة الآثار الاعتقادية للإيمان بالأسماء والصفات على الإيمان بالقدر.

أما هذه الدراسة فتناولت الاستدلال بأسماء الله وصفاته على بطلان الشرك.

منهج البحث:

اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

حدود البحث:

تلتزم الدراسة بتناول نماذج قرآنية على الاستدلال بأسماء الله وصفاته على بطلان الشرك.

المقدمة وتشتمل على: عنوان البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدود البحث، وخطة البحث.

خطة البحث، وتشتمل على ثلاثة مباحث كالاتي:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد وأنواعه.

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد.

المبحث الثاني: علاقة الشرك بالجهل بأسماء الله وصفاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشرك في التوحيد وأنواعه.

المطلب الثاني: علاقة الشرك بالجهل بالأسماء والصفات.

المبحث الثالث: نماذج من القرآن على الاستدلال بأسماء الله وصفاته على ترسيخ العقيدة وبطلان الشرك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستدلال بأسماء الله تعالى على بطلان الشرك.

المطلب الثاني: الاستدلال بصفات الله تعالى على بطلان الشرك.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التوحيد، وأنواعه، والعلاقة بينها

المطلب الأول: مفهوم التوحيد وأنواعه.

التوحيد: مصدر وحد يوحد توحيداً، يعني: وحد الله أي اعتقده واحداً لا شريك له في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته وعبادته، - سبحانه وتعالى - .

فهو واحد -جل وعلا - وإن لم يوحد الناس، وإنما سمي إفراد الله بالعبادة توحيداً؛ لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحد الله - عز وجل - ، واعتقده واحداً فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه ودعوته وحده، والإيمان بأنه مدبر الأمور وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه⁽¹⁾.

فالمفهوم الشرعي لتوحيد الله ﷻ: هو إفراد الله - تعالى بالربوبية - ، والألوهية، والأسماء والصفات. أو هو إفراد الله بالعبادة، أو هو إفراد الله بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء، والصفات.

وينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع كالآتي:

أ. توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، وربّه، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي والمميت، النافع الضار، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك. ويمكن إجمال خصائص الربوبية في أمور ثلاثة: في الخلق، والملك، والتدبير، فالخلق يدخل فيه الإبداع والإيجاد، والإنشاء وفق تقدير سابق، والملك والتدبير يدخل فيهما تصرفه سبحانه في خلقه من الإحياء والإماتة وغيرهما من تدبير مخلوقاته.

ب. توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد، ويسمى بتوحيد العبادة، لأن الألوهية هي العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة، منسوب للإله وهو المعبود. ويسمى بالتوحيد الإفرادي، لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة، أو لا يقوم بها. وسمي بالطلبية، لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله، ويقصده بلك، ومنه إخلاص العبودية لله تعالى. فتوحيد الله بالعبادة هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها عن غير الله، وتثبتها لله وحده - سبحانه وتعالى - .

(1) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، المؤلف: عبدالعزيز بن باز، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - المملكة العربية السعودية، (34/1).

وكلمة التوحيد هي أصل الدين وأساسه كله، وهي "سبيل السعادة في الدارين، والكلمة التي أرسل الله بها رسالة، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار"(2).

وقد أوضح الله معناها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم، منها قوله سبحانه ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]، وقوله - جل وعلا - : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5]، إلى غير ذلك من الآيات. وكلها تفسر هذه الكلمة، وتوضح أن معناها: إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة بحق لله وحده جل وعلا، كما قال سبحانه في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62] وقال في سورة لقمان: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: 30]

فالله سبحانه وتعالى هو الحق، وله دعوة الحق، وعبادته هي الحق دون كل ما سواه سبحانه وتعالى، فلا يستغاث إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب الشفاء إلا منه، ولا يطاف إلا ببيته العتيق، إلى غير هذا من أنواع العبادة، وهو الحق ودينه الحق سبحانه وتعالى، ومن أتقن هذه الأنواع الثلاثة: أعني أنواع التوحيد، وحفظها واستقام على معناها، علم أن الله هو الواحد حقاً، وأنه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيع واحداً منها أضاع الجميع فهي متلازمة، لا إسلام إلا بها جميعاً، ومن أنكر صفات الله وأسماءه، فلا دين له، ومن زعم أن مع الله مصرفاً للكون يدبر الأمور، فهو كافر مشرك في الربوبية بإجماع أهل العلم(3).

ج. توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف ولا تمثيل.

(2) معارج القبول، الحكمي، مرجع سابق، (509/1).

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (39/1).

قال ابن أبي العز الحنفي في بيان هذه العلاقة: "فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الكلام في الصفات. والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء. والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه - سبحانه وتعالى - أن يعبد وحده لا شريك له"(4).

فالتوحيد هو أن يوحد الله - جل وعلا - ، فيعتقد وحدانيته في كل ما يلزم له، وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على هذا، والتوحيد أقسام ثلاثة، وإن شئت قلت: قسمان: توحيد في العلم والمعرفة، وتوحيد في القصد والإرادة فمعنى التوحيد في العلم والمعرفة: أن توحد الله - جل وعلا - في إثبات ما له من الصفات وأن توحد في ربوبيته، فهذا كله يدخل في المعرفة والعلم.

والقسم الثاني: توحيد القصد والنية والإرادة فهو الذي يصدر من الإنسان، وهو المطلوب الذي طلبه الله جل وعلا منه، ولهذا سمي توحيد العبادة، وسمي توحيد الإلهية، وسمي توحيد النية والقصد والإرادة: لأنه مبني على كون هذه الأمور خالصة لله - جل وعلا - (5).

"فإذا عرف أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، ففضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه، ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ، وينفي عنه التشبيه والتمثيل، ففضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد:

أحدهما: نفي ذلك عن الله ﷻ وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

ثانيهما: تشبيه صفات الله بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وإذا عرفت أن توحيد الألوهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله ﷻ، ففضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها"(6).

(4) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، 1418هـ، ص 27.

(5) انظر: شرح فتح المجيد، الغنيمان، مرجع سابق، (2/2).

(6) معارج القبول، الحكمي، مرجع سابق، (1/ 573).

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد، الألوهية، الربوبية، والأسماء، والصفات

تظهر علاقة أنواع التوحيد الثلاثة - توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات-، في تلازمها، وارتباطها ببعضها ارتباطاً لا يقتصر فيه العبد على أحدها دون الآخر. "فلا توحيد ولا نجاة إلا بإفراد الله بالعبادة، والإيمان بأنه مالك الملك، ومدبر الأمور، وأنه كامل في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا يقاس بخلقه عز وجل، فله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو مدبر الملك جل وعلا، لا شريك له، ولا معقب لحكمه"⁽⁷⁾.

وقد أوضح أهل العلم رحمهم الله أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية - وهو: إفراد الله بالعبادة - ويوجب ذلك ويقتضيه، ولهذا احتج الله عليهم بذلك.

وهكذا توحيد الأسماء والصفات يستلزم تخصيص الله بالعبادة وإفراده بها لأنه سبحانه هو الكامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وهو المنعم على عباده، فهو المستحق لأن يعبدوه ويطيعوا أوامره وينتهوا عن نواهيه.

وأما توحيد العبادة، فهو يتضمن النوعين، ويشتمل عليها لمن حقق ذلك واستقام عليه علماً وعملاً⁽⁸⁾. إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي⁽⁹⁾.

قال ابن باز رحمه الله: "من أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولكن لم يعبد الله وحده، فقد أشرك بالله وكفر به سبحانه، ولا تنفعه بقية الأقسام لا توحيد الربوبية، ولا توحيد الأسماء والصفات، حتى يجمع بين الثلاثة، فيقر بأن الله ربه هو الخالق الرازق المالك لجميع الأمور، ويقر بما كفر به المشركون، وحتى يؤمن بأنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له، ولا شريك له، كما قال - عز وجل -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص: 1-4] - وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 74] . وقال - عز وجل -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"⁽¹⁰⁾.

(7) مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (22/2).

(8) مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (62/7).

(9) انظر: معارج القبول، الحكمي، مرجع سابق، (592/1).

(10) مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (40/1).

فتوحيد الألوهية يعني إفراد الله تعالى بالعبادة دون سواه، وهو أمر لا يتحقق على الوجه الأكمل إلا بمعرفة العبد لربه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی. وبربوبيته وإفراده تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والملک والتدبير، والتي تدل بالضرورة على توحيده سبحانه في العبادة، لأنه لا معبود بحق إلا الله الخالق الرازق المالك المتصرف وغيرها من أفعاله سبحانه.

ويرتبط بذلك تعظيم الله، وخشيته، ومحبته، والإنابة إليه وغيرها من توحيد الله تعالى بأفعال عباده. "فإن الله سبحانه هو المعبود بالحق، وهو الخالق للعباد، وهو مربيهم بالنعم، وهو الحاكم بينهم في الدنيا والآخرة، وهو الموصوف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص والعيب، واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته، - جل وعلا -، وهو سبحانه له التوحيد من جميع الوجوه، له الوجدانية في خلقه العباد، وتدبيره لهم، ورزقه لهم، وتصريفه لشئونهم، لا يشاركه في ذلك أحد سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية [يونس: 4]، فهو المستحق للعبادة لكمال إنعامه، وكمال إحسانه، ولكونه الخالق والرازق ولكونه مصرف الأمور ومدبرها، ولكونه الكامل في ذاته وصفاته وأسمائه" (11).

وظهرت هذه العلاقة بين أنواع التوحيد عند كلام ابن تيمية عن معاني الإلهية حيث قال: "والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها إثبات إحسانه إلى العباد فإن الإله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل" (12).

ومما يدل عليها قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65]. فشملت هذه الآية أنواع التوحيد الثلاثة (13).

(11) مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (15/2).

(12) مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد - المدينة المنورة، بدون رقم طبعة، عام 1425هـ، (10/249).

(13) انظر: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، الناشر: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الطبعة الأولى، 1429هـ، (565-566).

فتوحيد الألوهية هو أحد نوعي التوحيد، ويعرف بتوحيد القصد والنية والإرادة، وهو الذي طلبه الله عز وجل من الإنسان، ولهذا فهو يسمى توحيد العبادة، أما النوع الثاني من التوحيد فهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا التوحيد يعرف بتوحيد المعرفة والإثبات⁽¹⁴⁾. فهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ⁽¹⁵⁾.

وأن يعتقد جازماً بأن ما سمي الله - جل وعلا - به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ يختص به، لا يشاركه فيه أحد من خلقه، فهو بكل شيء عليم، وعلمه أزلي لم يستحدث ولا يستجد، ولم يكن له مبدأ، وكل ما سمي به نفسه يجب أن نعتقد تفرد به بالمعنى الذي يختص به جل وعلا، ونوحده في ذلك، فيكون واحداً في هذا⁽¹⁶⁾.

فالله سبحانه أنزل الكتب وأرسل الرسل ليعبد وحده لا شريك له، وليبين حقه لعباده، ويذكر للعباد ما هو موصوف به سبحانه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ليعرفوه - جل وعلا - بأسمائه وصفاته وعظيم إحسانه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه - جل وعلا -، وما ذاك إلا لأن توحيد الربوبية هو الأساس والأصل لتوحيد الإلهية والعبادة، فلهذا بعثت الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأنزلت الكتب السماوية من الله - عز وجل - لبيان صفاته وأسمائه وعظيم إحسانه، وبيان استحقاقه أن يعظم ويدعى ويسأل جل وعلا، حتى تخضع الأمم لعبادته وطاعته، وحتى تتيب إليه، وحتى تعبده دون كل ما سواه جل وعلا⁽¹⁷⁾.

(14) انظر: شرح فتح المجيد، المؤلف: عبدالله الغنيمان، (1/2).

(15) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، مرجع سابق، ص41.

(16) انظر: شرح فتح المجيد، الغنيمان، مرجع سابق، (2/2).

(17) مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (47/2).

المبحث الثاني: علاقة الشرك بالجهل بأسماء الله وصفاته، وفيه مطلبان

المطلب الأول: الشرك في التوحيد وأنواعه

أولاً: مفهوم الشرك في التوحيد:

مفهوم الشرك: هو ضد التوحيد، وهو على نوعين: الشرك الأكبر: وهو الذي ينال في التوحيد بالكلية، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويخلد صاحبه في النار. والأصغر وهو ما دون الأكبر، حيث إنه ينقص ثواب العمل، وقد يُحبطه إذا زاد وغلب وهو الريا اليسير في تحسين العمل⁽¹⁸⁾.

ومعنى الشرك هو أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الله، أو يُعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوعاً من خصائص الربوبية، أو الألوهية. مثل عبادة الأصنام، واعتقاد شريك لله في تصريف الكون، وجعل شريك لله في أسمائه، وصفاته، ومحبة المخلوق كمحبة الله. وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165] ⁽¹⁹⁾.

فالشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولا بد⁽²⁰⁾. وذلك أن أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة⁽²¹⁾.

ثانياً: أنواع الشرك في التوحيد:

الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينال في التوحيد كل المنافاة وهو نوعان: شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي.

فأما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندا يدعو كما يدعو الله أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ولا فرق في هذا بين أن يسمى تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلاً، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر، لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

(18) انظر: معارج القبول، الحكمي، مرجع سابق، (1/592).

(19) انظر: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق، (2/959).

(20) انظر: معارج القبول، الحكمي، مرجع سابق، (1/506).

(21) انظر: القول السديد في شرح مقاصد التوحيد، المؤلف: عبدالرحمن السعدي، مرجع سابق، ص128.

وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك⁽²²⁾.

المطلب الثاني: علاقة الشرك بالجهل بأسماء الله وصفاته

إن من لم يعرف الله ﷻ حق معرفته، واتصافه سبحانه بالكمال المطلق له في ذاته وصفاته وأفعاله، كما وصف بها نفسه سبحانه عن نفسه في كتابه، ووصفه نبيه ﷺ في سنته، فإنه سيكون عرضة للوقوع في الانحراف الناتج عن التشبيه، والتحريف، والتكليف، والتعطيل. وغيرها من الانحرافات المؤدية إلى الشرك.

قال ابن القيم رحمه الله: "لا يستقرُّ للعبد قدمٌ في المعرفة - بل ولا في الإيمان - حتى يؤمن بصفات الربِّ جل جلاله، ويعرفها معرفةً تخرجه عن حدِّ الجهل برَّبِّه، فالإيمان بالصفات ومعرفتها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان. فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان والإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.

وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظنِّ به، وتوعَّده بما لم يتوعَّد به غيره من أهل الشُّرك والكِبائر⁽²³⁾. "حيث إن أنواع التوحيد متلازمة، وأن من أشرك غير الله معه في شيء منها، فقد أشرك فيما عداه"⁽²⁴⁾. كما أنَّ نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالفاً آخر.

الشرك في الألوهية أو العبودية وهو أن يعبد مع الله غيره.

الشرك في الصفات وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عز وجل كعلم الغيب.

(22) انظر: القول السديد في شرح مقاصد التوحيد، عبدالرحمن السعدي، مرجع سابق، ص31.

(23) مدارج السالكين في منازل السائرين، المؤلف: محمد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض -، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الثانية، 1441هـ، (296/4).

(24) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، المؤلف: حافظ الحكمي، المحقق: محمد صبحي، الناشر: دار ابن الجوزي، (1/ 500).

فهذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله في توحيد إياه فوحده في ذاته وفي عبادته وفي صفاته فهو الموحّد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين⁽²⁵⁾.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن ذلك لا يشمل من كان جاهلاً بها كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله في قوله: "أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافراً إذا كان مقراً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه كحديث الذي أمر أهله بتحريقه ثم تذرته؛ بل العلماء بالله يتفاضلون في العلم به. ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه بالجهل وعدم العلم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾" [النساء: 17] ⁽²⁶⁾. وقال أيضاً: "ليس كل من جهل بعض أسماء الله وصفاته يكون كافراً إذ كثير من المؤمنين لم يسمع كثيراً مما وصفه به رسوله وأخبر به عنه. فهذه الوجوه ونحوها مما تبين تفاضل الإيمان الذي في القلب؛ وأما تفاضلهم في الأقوال والأعمال الظاهرة فلا تشتبه على أحد والله أعلم⁽²⁷⁾".

والواجب على المسلم أن يسلك في هذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحيحة الدالة على أسماء الله وصفاته مسلك أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بها، واعتقاد صحة ما دلت عليه وإثباته له سبحانه على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا هو المسلك الصحيح الذي سلكه السلف الصالح واتفقوا عليه، كما يجب على المسلم الذي يريد السلامة لنفسه تجنبها الوقوع فيما يغضب الله والعدول عن طريق أهل الضلال الذين يؤولون صفات الله أو ينفونها عنه - سبحانه وتعالى - عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً⁽²⁸⁾.

(25) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص113.

(26) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (538/7).

(27) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (574/7).

(28) انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (137/1).

المبحث الثالث: نماذج من القرآن على الاستدلال بأسماء الله وصفاته على بطلان الشرك، وفيه مطلبان

المطلب الأول: الاستدلال بأسماء الله تعالى على بطلان الشرك

أولاً: الاستدلال باسم (الله) على بطلان الشرك.

ومن الآيات الواردة في الاستدلال باسم الله - عز وجل - كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، وقوله تعالى: ﴿فِي رَسُولِهِ لِرِاسَلِهِ ﷺ﴾، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 73]، وقوله ﷺ: ﴿فَذَلِّكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: 32]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص: 1-4]، والآيات في ذلك كثيرة.

ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضِرِّهِ أَوْ إَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فالآلهة المعبودة من دون الله كلها بهذه المثابة وهي الأوثان التي تتخذ من دون الله⁽²⁹⁾.

وترك سبحانه الجواب في الآية لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا، فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، ويبيد الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان⁽³⁰⁾.

قال ابن عاشور رحمه الله: "والفاء من أفرأيتم لتفريع الاستفهام الإنكاري على جوابهم تفريعا يفيد حاجتهم على لازم اعترافهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَامُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64]. وهذا تفريع الإلزام على الإقرار، والنتيجة على الدليل فإنهم لما أقروا بأنه خالق السماوات والأرض يلزمهم أن يقروا بأنه المتصرف فيما تحويه السماوات والأرض"⁽³¹⁾.

(29) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (361/27).

(30) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، (212/20).

(31) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية - تونس، (16/24).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي أي ما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فإنهم مقرون أن آلهتهم لم يخلقوا كخلقه. وإنما كانوا يجعلونهم شفعاء ووسائط قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِئْتُمْ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18] ، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ﴾ [يس: 23] (32).

والقرآن كله يثبت توحيد الإلهية ويعيب عليهم الشرك وقد تواتر عنه ﷺ أنه أول ما دعا الخلق إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله﴾ (33).

قال ابن تيمية رحمه الله: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" [الإخلاص: 1] هي صفة الرحمن ونسبه وهي متضمنة ثلث القرآن؛ وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى والكلام إما إنشاء وإما إخبار، فالإنشاء: هو الأمر والنهي وما يتبع ذلك كالإباحة ونحوها وهو الأحكام. والإخبار: إما إخبار عن الخالق وإما إخبار عن المخلوق فالإخبار عن الخالق هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته (34). فالله سبحانه لا شبيه له، ولا كفو له، ولا ند له، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق.

وقد أخبرنا في كتابه المبين وعلى لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، بما يجب اعتقاده في حقه سبحانه، وبما يعرفنا به ويدلنا عليه من أسمائه وصفاته وآياته المشاهدة، من سماء وأرض وجبال وبحار وأنهار وغير ذلك من مخلوقاته عز وجل، ومن جملة ذلك نفس الإنسان فإنها من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته وكمال علمه وحكمته، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190] وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: 20] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] (35).

(32) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (311/1).

(33) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (456/20).

(34) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (207/17).

(35) انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (64/1).

ثانياً: الاستدلال باسمي (الرحمن الرحيم) على بطلان الشرك.

ومن الآيات التي أكدت الألوهية لله وحده لا شريك له وبطلان الشرك بغيره باسمي الرحمن الرحيم ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45].

فالرحمن الرحيم هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء⁽³⁶⁾.

ففي الآية أخبر تعالى ذكره عن نفي الشريك عنه، وأنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواء، وأن كل ما سواه فهم خلقه، والواجب على جميعهم طاعته، والانقياد لأمره وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة وهجر الأوثان والأصنام، لأن جميع ذلك خلقه وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهية، ولا تتبغي الألوهية إلا له، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه دون ما يعبدونه من الأوثان، ويشركون معه من الأشرار وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فمنه، وأن ما أشركوا معه من الأشرار لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل، ولا في دنيا، ولا في آخرة. وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهل الشرك به على ضلالهم، ودعاء منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم⁽³⁷⁾.

ويظهر وجه الدلالة على بطلان الشرك من خلال إثبات صفة الرحمة في أن طلب الرحمة لا يكون إلا من الرحيم وهو الله ﷻ، بخلاف من سواه الذي لا يملك الرحمة والنفع إلا بإذن الله.

فاذا علم العبد هذه الصفة وأنها من الصفات الثابتة لله تعالى، التي تقتضي إيصال الخير لعباده ودفع الشر عنهم، طلب الرحمة من الله دون سواه. لأنها راجعة إلى الإحسان الكامل والمنّة والفضل من الله لعباده. لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]. فهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما⁽³⁸⁾.

(36) انظر: أضواء البيان، المؤلف: محمد الأمين، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض، الطبعة الخامسة، 1441هـ، (48/1).

(37) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: عبدالله التركي، الناشر: دار هجر - القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ، (746/2).

(38) انظر: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل ابن كثير، المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ، (79/8).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: 60].

لقد ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن، أي: قال لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، تجاهلوا الرحمن، وقالوا: وما الرحمن، وأنكروا السجود له تعالى، وزادهم ذلك نفوراً عن الإيمان والسجود للرحمن.

وتجاهلهم للرحمن هنا أجابهم عنه تعالى بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ [الرحمن: 1 - 4] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110] يعلمون أن الرحمن هو الله، وأن تجاهلهم له تجاهل عارف⁽³⁹⁾.

فالكفار يعرفون ربهم بأسمائه وصفاته، وقد كابر بعضهم فأنكر اسم الرحمن، فأكذبهم الله بقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30]⁽⁴⁰⁾.

وفيه تنزهه سبحانه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) ..﴾ الآية [مريم: 88 - 92].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]

فهو المعبود سبحانه الذي لا تبغي العبادة والألوهية إلا له، عالم غيب السماوات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس، رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به⁽⁴¹⁾.

ثالثاً: الاستدلال باسمي (الخالق الرازق) على بطلان الشرك.

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21- 22] ، فالزهمهم الله - جل وعلا - بأن تكون العبادة له وحده؛

⁽³⁹⁾ انظر: أضواء البيان، أحمد الأمين، مرجع سابق، (382/6).

⁽⁴⁰⁾ انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (38/1).

⁽⁴¹⁾ انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، (550/22).

لإقرارهم بأنه هو الذي خلقهم وخلق من قبلهم، وهو الذي جعل الأرض على هذه الصفة، وهو الذي ينبت النبات، وهو الذي يرزقهم، ألزمهم بإقرارهم هذا أن يعبدوه وحده (42).

فإن الله هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويخفف ويرفع ويعز ويذل وهو - سبحانه - مسبب الأسباب ورب كل شيء ومليكه. قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 23]. فبين سبحانه ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والأنبياء وغيرهم فبين أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ثم بين أنه لا شركة لهم ثم بين أنه لا عون له ولا ظهير؛ لأن أهل الشرك يشبهون الخالق بالمخلوق (43).

وقال السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191] "فالتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواء.

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يملكون ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأي برهان أعظم من هذا البرهان: الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك" (44).

وبين سبحانه في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24]

(42) انظر: شرح فتح المجيد، الغنيمان، مرجع سابق، (9/3).

(43) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (322/18).

(44) القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبدالرحمن السعدي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، 1421هـ، ص72.

فذكر نفسه بأنه الخالق البارئ المصور، ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا. وكذلك قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الزمر: 62، 63] (45).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿[الأنعام: 100-101] ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئاً من مخلوقاته بذلك.

ومن شواهد الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102] فالآية بيّنت أنه لا شيء له الألوهية والعبادة إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادة جميع من في السماوات والأرض إلا لله خالصة بغير شرك معه، فإنه خالق كل شيء وبارئته وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة. ففي قوله تعالى ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: 102] أي: فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102] أي: والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته (46).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: 35، 36].

فالآية فيها إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجود؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً. أم هم خلقوا السماوات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده، لا شريك له. ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك (47).

(45) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، الناشر: دار العاصمة - السعودية، الطبعة الثانية، 1419هـ، (45/4).

(46) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، (459/9).

(47) انظر: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل ابن كثير، المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ، (437/7).

المطلب الثاني: الاستدلال بصفات الله تعالى على بطلان الشرك

أولاً: الاستدلال بصفة العلم على بطلان الشرك.

صفة العلم من الصفات الذاتية الثبوتية لله ﷻ، وقد دل عليها القرآن الكريم دلالة تبين علم الله المطلق والذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وذلك في آيات كثيرة. ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: 22]

قال ابن عباس: عالم السر والعلانية. وقيل: ما كان وما يكون. وقال سهل. عالم بالآخرة والدنيا. فالغيب ما لم يعلم العباد ولا عاينوه. والشهادة ما علموا وشاهدوا⁽⁴⁸⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 100-101] فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل⁽⁴⁹⁾.

فسبح نزه نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى الْمُقْتَضِيَّة لتوحيده واستحالة إثبات شريك له⁽⁵⁰⁾.

وهذا في القرآن كثير جداً: يستدل بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك، كما في قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 22 - 23]. وأضعاف أضعاف ذلك في القرآن⁽⁵¹⁾.

ويظهر وجه الاستدلال بصفة العلم على بطلان الشرك، في أن العبد إذا علم بأن الله عالم الغيب والشهادة، وأنه بكل شيء عليم، لا تخفى عليه خافية سبحانه، قاده ذلك إلى تحقيق توحيد العبادة خضوعاً لله ﷻ.

(48) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، (45/18).

(49) انظر: التدمرية، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المحقق: محمد السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة السادسة، 1421هـ، ص12.

(50) انظر: جلاء الأفهام، المؤلف: محمد ابن القيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ، ص176.

(51) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، مرجع سابق، (478/4).

بخلاف من يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فإنه صرفها لمن لا يعلم حاله، وهذا من أعظم الجهل.

قال ابن القيم رحمه الله: "كل من أشرك به من دون الله، لا يعلم حاجة العابد، ولا يسمع دعاءه، ولا يقدر على إجابة طلبه، ولا يملك نفعاً ولا ضرراً، والله ﷻ يعلم السر وأخفى، وهو السميع العليم، فكيف يُعدل عنه إلى من هو دونه" (52).

ويشهد لهذه الصفة ما ورد في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116]

فالآية دلت على هذه الصفة العظيمة لله عز وجل الداعية إلى عبادته وحده، دون كل ما سواه، وأنه علام الغيوب وأنه العزيز الحكيم، وأنه الرقيب على عباده، والشهيد عليهم، وأنه يعلم ما في نفس نبيه عيسى، وعيسى لا يعلم ما في نفسه - سبحانه وتعالى - (53).

ثانياً: الاستدلال بصفتي السمع والبصر على بطلان الشرك.

إنَّ صفة السمع والبصر من الصفات الذاتية لله تعالى، فالله ﷻ لا تخفى عليه خافية، فهو يسمع ويبصر كل الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقتها وجليلها، في جميع الأحوال. فهو سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: 14]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 181]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28].

ففي الآية بيان عدم سماع دعوة هؤلاء الآلهة التي تُعبد من دون الله، لأنها جماد لا تفهم ما يقولون، وفي حال سماعها، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لهم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولاً متيسراً له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضرركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم (54).

(52) مدارج السالكين، (109/1)

(53) انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (58/2).

(54) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، (350/19).

ويظهر وجه الاستدلال بصفتي السمع والبصر على بطلان الشرك، في أن الله وحده يسمع دعاء كل مخلوق، ويُبصر حاله، وإذا علم العبد أن الله يسمع دعاءه ويبصر مكانه وحاله لم يدع أو يعبد غيره ممن لا يسمع ولا يُبصر.

وإذا صرف ذلك لله تعالى وحده فهذا مقتضى التوحيد والبعد عن الشرك. حيث إن الشرك مبني على عبادة غير الله ممن لا يسمع دعاء الداعي ولا يبصر حاله، أما الله ﷻ هو السميع البصير الذي يسمع الدعاء ويبصر كل حاجة، فلا يستحق العبادة سواه.

ومن شواهد ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

قال ابن باز رحمه الله: فنفي عن نفسه المماثلة ثم أثبت لنفسه السمع والبصر، فدل ذلك على أن صفاته وأسماءه لا شبيه له فيها، ولا مثيل له فيها. بل هو جل وعلا الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المستحق لأن يعبد ويعظم جل وعلا. وهذا النوع حجة قاطعة على استحقاق ربنا سبحانه العبادة⁽⁵⁵⁾.

ثالثاً: الاستدلال بصفتي الحياة والقيومية على بطلان الشرك.

ومن ذلك ماورد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]. فالآية اشتملت على أعظم اسمين من أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنها الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدق.

فهي أفضل آية في كتاب الله - عز وجل -، لما اشتملت عليه من التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى، وبيان عظمته جل وعلا، وأنه الحي القيوم المالك لكل شيء ولا يعجزه شيء - جل وعلا -⁽⁵⁶⁾.

فنفي السنة والنوم في الآية دليل على كمال حياته وقيوميته، وفي الآية بيان إلى ما تقع به التفرقة بينه سبحانه وبين خلقه، بما يتصف به - تعالى - دون خلقه: فمن ذلك: أنه حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون. ومنه: أنه قيوم لا ينام؛ إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، فإنهم ينامون. وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته. فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة، ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعاً ولها ولعباً ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ لِّمَنْ أُعْطِيَهَا مِنْ الدَّارِ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 64]. فالحياة الدنيا كالنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة، وهي للمخلوق -: لأننا نقول:

⁽⁵⁵⁾ مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (37/2)، (58).

⁽⁵⁶⁾ انظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، مرجع سابق، (5/308).

الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللازمة لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدانة الله لها، لا أن الدوام وصف لازم لها لذاتها، بخلاف حياة الرب تعالى. وكذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق⁽⁵⁷⁾.

قال ابن أبي العز: "فإن قلت: كيف يستدل بأسمائه وصفاته، فإن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟

فالجواب: أن الله تعالى قد أودع في الفطرة التي لم تنتجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه، ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره، ويجعلوا معه إلهاً آخر؟ وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه، ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر؟!

ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك، ومن جوز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته⁽⁵⁸⁾.

(57) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، مرجع سابق، ص 77.

(58) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص 47-48.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمات، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، وبعد:

أولاً: أهم النتائج التي توصلت لها من خلال البحث أخصها في النقاط الآتية:

- دور أسماء الله وصفاته في تقرير العقيدة وإبطال الشرك، حيث إن الإيمان بالأسماء والصفات يستلزم تخصيص الله بالعبادة وإفراده بها لأنه سبحانه هو الكامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وهو المنعم على عباده، فهو المستحق لأن يعبدوه ويطيعوا وأوامره وينتهوا عن نواهيه.
- العلاقة الواضحة بين أنواع التوحيد الثلاثة، وأن من أقر بتوحيد الأسماء والصفات دون غيره من أنواع التوحيد لم ينفعه ذلك حتى يؤمن ببقية أنواع التوحيد من الربوبية والألوهية.
- أن نفي الشريك عن الله تعالى في أسمائه وصفاته لا يتم إلا بنفي الشرك في بقية أنواع التوحيد.
- أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافراً إذا كان مقراً بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ثانياً: التوصيات

استكمال الموضوع بالعناوين القريبة، وذات الصلة مثل:

- الاستدلال بأسماء الله وصفاته بالرد على المخالفين في باب الإيمان الملائكة.
- الاستدلال بأسماء الله وصفاته بالرد على المخالفين في باب الإيمان بالرسول.
- الاستدلال بأسماء الله وصفاته بالرد على المخالفين الإيمان باليوم الآخر.
- الاستدلال بأسماء الله وصفاته بالرد على المخالفين في باب الإيمان بالقدر.

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم
2. أضواء البيان، المؤلف: محمد الأمين، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض، الطبعة الخامسة، 1441هـ.
3. التدمرية، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: محمد السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة السادسة، 1421هـ.
4. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل ابن كثير، المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ.
5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: عبدالله التركي، الناشر: دار هجر - القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ.
6. جلاء الأفهام، المؤلف: محمد ابن القيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ.
7. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، الناشر: دار العاصمة - السعودية، الطبعة الثانية، 1419هـ.
8. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، 1418هـ.
9. القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، 1421هـ.
10. مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد - المدينة المنورة، بدون رقم طبعة، عام 1425هـ.
11. مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، المؤلف: عبد العزيز بن باز، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - المملكة العربية السعودية.
12. مدارج السالكين في منازل السائرين، المؤلف: محمد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض - دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الثانية، 1441هـ.
13. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، الناشر: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الطبعة الأولى، 1429هـ.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي